بالما دي مايوركا

هالة سحرية من تراث الموريسكيين والمعارض الفنية تجذب الزوار

> حبيب سلوم

"لقد كنت تسأل عن آثار الموريسكيين! أنظر إلى هذا الفناء والقوس أمامك. إنهما من تراث الموريسكيين، وهما يشكلان خلفية كبيرة لكثير من المعارض الفنية التي تنتشر في البلدة القديمة في بالما دي مايوركا." وبدت نيكول دليلنا كما لو أنها في عالم الأحلام وهي تسهب في الحديث عن معارض بالما، وهو الموضوع المفضل في حياتها، كما يبدو.

وفكرت أثناء الجولة، "إن أشباح المغاربة (الموريسكيين) الذين أسسوا بالما لا تزال في جميع الأنحاء". الشوارع الضيقة المعبدة النظيفة تنتظم على جانبيها المقاهي، والمنازل ذات الأبواب الخشبية الثقيلة والبوابات الحديدية، والباحات التي تحيطها السلالم الحجرية والأقواس المغاربية والنباتات، وكلها تشكل ذاكرة حية لتراث المدينة العربي.

ورغم أن الموريسكيين (وهو الإسم الذي أطلقه الأوروبيون على العرب في شبه الجزيرة الايبيرية) هزموا في 1229 واستعبدوا من قبل الملك خايمي الأول، ملك فالنسيا وأراغون، فإن تراثهم لا يزال قائما-وهو الآن جزء لا يتجزأ من الثقافة الإسبانية. ويبدو كما لو أن العرب جاؤوا لإثراء الأراضي الإسبانية ثم ذابوا في التاريخ.

بالما، عاصمة كل من جزيرة مايوركا وجزر الباليار، أنشئت كمدينة رومانية، بالماريا، ثم سميت لاحقا من قبل السكان العرب "مدينة ميورقة" وسكانها اليوم يطلقون عليها، ببساطة، إسم (المدينة). ويبلغ عدد

الكاتدرائية
Cathedral

منظر للحي العربي مع الكاتدرائية في الخلفية
View of the Arab Quarter with the Cathedral in the background

سكانها نحو 375 ألف نسمة، وهو أكثر من نصف مجموع سكان جزر الباليار. وموقعها على خليج باهيا دي بالما يجعل المدينة حيوية وكوزموبوليتية (عالمية). وعلى الرغم من أنها أصبحت مدينة حديثة مفعمة بالحيوية، فإن الحي القديم (المدينة العربية القديمة) قد نجح في الإبقاء على هالته القديمة وسحره. وتأتي جموع الزوار الأجانب إلى المدينة بأعداد كبيرة، وبصورة رئيسية، للتمتع بالطعم التاريخي لهذا الحي الموقّر. الواجهة المغاربية للمدينة القديمة والتي لا تزال واضحة، بالإضافة إلى المرافق السياحية الحديثة، جعلا من بالما وجهة سياحية لا تنافس. معظم السياح، وخاصة من السفن السياحية، يبدأون دائما من خلال استكشاف المدينة القديمة، والتي كانت محاطة بجدران دفاعية، والتي لا تزال أجزاء منها قائمة، وبعضها قد جدد. في متاهات الحارات والشوارع الصغيرة مع تراثها المغاربي، يمكن للمسافرين التمتع بجو العصور الوسطى. عدد لا بأس به من هذه الشوارع يمتد من سا سيو، كاتدرائية بالما التي شيدت على موقع مسجد سابق والذي كان بدوره قد أقيم على بقايا معبد روماني.

شأن معظم السياح، بعد التجول على الأقدام في الشوارع، بدأنا استكشاف المواقع الرئيسية في الكاتدرائية، وهي تعتبر واحدة من أروع وأكبر الهياكل الغوطية في العالم وأعظم نصب رائع في المدينة. وتضم الكاتدرائية في برج ناقوسها مأذنة المسجد السابق وأعمدتها التي تجعل من الكاتدرائية ثاني أكبر كاتدرائية غوطية في أوروبا. ومما يلفت النظر أيضا النافذة الرئيسية فوق المذبح، وقطرها نحو 11,5 قدم، ومساحتها نحو 97 مترا مربعا، وفيها نحو 1236 من الألواح الزجاجية الملونة. ومما يعزز من جمالها الداخلي هو لمسة المعماري غاودي الذي عمل لمدة عشر سنوات لتجميل الكاتدرائية.

واسترحنا بجوار الكاتدرائية في بارك دي لا مار مع نافوراته المدهشة ومنحوتاته العجيبة ونحن نتأمل في قصر المدينة المجاور، وقد كان يوما ما مقرا للحكام العرب، وهو يقع

الكاتب في الحمامات العربية
The writer in the Arab baths

بجوار الكاتدرائية. ومع جدرانه التي ترتفع بفخر فوق الأسوار الدفاعية القديمة لهذا الحي، فإن هذا القصر/القلعة الرائع، والذي ما زال يحتوي على حمام عربي صغير، يوفر منظرا شاملا لميناء بالما. قد استخدم في العصور الوسطى قصرا ملكيا، وهو اليوم مقر الإقامة الرسمي لملك إسبانيا عندما يزور بالما. وهو أيضا مقر متحف التراث الوطني ومكتب ميناء جزر الباليار.

وبعد خمس دقائق مشيا من قصر المدينة، وصلنا إلى الحمامات العربية، وهي مخفية بعيدا عن الشارع الضيق. ويعود تاريخها إلى القرن العاشر وتحيط بها حدائق معتنى بها جيدا، وهي البقايا الوحيدة من المباني العربية، ويعتقد أنها كانت جزءا من منزل أحد النبلاء. القبة في شكل نصف البرتقالة، ولها 25 عمودا دائريا، تدعمها عشرات الأعمدة الطولية. وبعد أن غزى المسيحيون وحققوا الانتصارات على مايوركا، قاموا بطمس كل المعالم المعمارية العربية/الإسلامية والمساكن. وبقيت الحمامات شاهدة على أكثر من 300 عام من الوجود العربي/الإسلامي في الجزيرة. وهي تحظى بشعبية مع الزوار وتستمر في توليد الكثير من الاهتمام التاريخي.

وبعد زيارة أهم معالم المدينة القديمة واصلنا التجول في الحي العربي. ويبدو أن هناك حول كل ركن تذكار للعهود المغاربية أو القرون الوسطى. وفي نهاية كل حديث تذكر نيكول صالات عرض الفنون في مايوركا. وأثناء سيرنا، أوضحت نيكول، "نحن هنا في بالما نحب الفن. مدينتنا أكثر

الكاتب في الحي العربي
The writer in the Arab Quarter

المعارض الفنية، قياساً على عدد السكان، من أي مكان آخر في العالم."

ومثل الكاتب الذي كتب بعد استكشاف المدينة القديمة: "الحي العربي هو الحي الأنيق، المتطور، الحميم الذي ينضح بالتأثيرات المغاربية الدقيقة والمتفجر بالحيوية أيضا"، فقد أمضينا يوما مثيرا وممتعا في التجول في هذا الحي الموقر. ومن مجموع 12 مليون سائح سنويا يسافرون إلى جزر الباليار، فإن 10 مليون منهم يمر ببالما، مما يجعلها المقصد السياحي الأكثر شعبية في أوروبا.

لا تزال بالما اليوم مدينة جذابة ومزدهرة كما كانت في أيام العرب. خايمي الأول، الذي استعاد المدينة، وصفها بأنها "أجمل مدينة رآها في حياته"، وهي لا تزال كذلك حتى اليوم لدى الكثير من سكانها. وفي عبارة لأحد معارفي في المدينة، "أحب مدينتي. إنها جميلة! إنها أفضل مكان للعيش في إسبانيا!"

إنسيماذا Ensaimada

حلوى عربية الأصل A sweet of Arab origin

إذا كنت تنوي الذهاب

1 تنطلق الحافلات من مطار بالما كل 15 دقيقة متوجهة إلى مركز المدينة (ساحة إسبانيا)، كما أن خدمة التاكسي ممتازة.

2 بالما تعرض خليطا ممتازا من الفنادق، والثقافة، والتاريخ، والأكل، والتسوق.

3 لا توجد شواطئ في مدينة بالما، وأقرب الشواطئ هما كايين باستيلاس إلى الشرق وكالا مايور إلى الغرب، وهما على بعد نحو 4كم. وأفضل الشواطئ هي ماغالوف وفوفا بالما إلى الغرب من الجزيرة والكوديا على الساحل الشمالي.

4 اللؤلؤ هي الهدية التي تشترى في بالما. ولؤلؤ ميورقة، والمعامل في مدينة منكور، له شهرة عالمية.

5 الحلوى الميورقية المفضلة هي (إنسيماذا) وهي على شكل كعكة حلزونية.

6 ترك إكرامية صغيرة هو العرف في المطاعم والفنادق، وهي نحو 5–10 % من تكلفة الطعام.

7 في بالما نحو 17 معرضاً فنياً، وأغلبها في الحي القديم. ■

الكاتدرائية Cathedral

معالم أخرى في بالما

ـ قلعة بلفير، وهي مبنية في القرن الرابع عشر وفق المعمار الغوطي، وهي القلعة الوحيدة في إسبانيا التي لها شكل دائري، مع إطلالة جميلة على المدينة والخليج. وقد كانت ذات مرة مقر الإقامة الملكية وهي تضم الآن متحف التاريخ.

ـ لا لونيا، وهي بناء غوطي كتلاني من القرن الخامس عشر، وتضم أجمل التماثيل.

ـ متحف دي مايوركا، وهو قصر من القرن الخامس عشر يحتوي على بعض الاكتشافات الأثرية.

ـ دار البلدية، وهي بناء يعود إلى القرن السابع عشر مليء بالجاذبية والسحر.

ـ كاتدرائية سان فرانسيسكو، وتعود إلى القرن الثالث عشر، وهي كنيسة مشهورة باحتوائها على ضريح رامون لول، الفيلسوف الإسباني المحبوب، والعالم والمعلم.

ـ غران هوتيل، وهو أول فندق فخم في بالما حيث افتتح في عام 1903, وقد تم تجديده من قبل فنداثيو دي كيخا وأعيد فتحه في عام 1993 كقاعة عرض فنية.

أماكن الاقامة

هناك أكثر من ألف فندق في مايوركا تناسب جميع الأذواق. واحد من أكبر الفنادق في بالما هو كاستيلو سون فيدا، ويقع في قلعة من القرون الوسطى، محاطة بنحو 500 هكتار من المتنزهات شبه الإستوائية، مع منظر رائع لخليج بالما، وهو من درجة 5 نجوم.

للفنادق في بالما، أنظر الموقع الالكتروني: www.mallorcahotelguide.com